الفصل الثالث

الروابط الفعلية النصية

المبحث الأول : الاستبدال الفعلي

المبحث الثاني : الحذف الفعلـــي

المبحث الثالث : الحبك المعجمي الفعلي

الفعـــل

توطئة:

الفعل يمثل القسم الثاني من أقسام الكلمة في تقسيم الدرس اللغوي قديمًا، إنّما جُعِلَ ثانيًا؛ لأنّه بمنزلة الاسم في أنّه مسندٌ، وإن فارقه في كونه مسندًا إليه[١]، وله معنيان، في اللغة، وفي الاصطلاح.

أمّا معناهُ في اللغة، فيراد منه: التأثير من جهة مُؤَثِّرٍ وهو عام لما كان بإجادةٍ، أو غير إجادة، لما كان بعلمٍ، أو غير علم، وقصدٍ أو غير قصد[٢]، أو هو كنايةٌ عن عمل متعدٍ، أو غير متعدٍ، فَعَل يفعل فَعْلًا وفِعْلًا، فالاسم مكسور، والمصدر مفتوح[٣]، والنحويون يطلقون على ما ذُكر الحدث[٤].

وأما في الاصطلاح فيراد منه: أمثلةٌ أُخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، وما هو كائنٌ لم ينقطع[٥]، أي أنّ هذه الأبنية المختلفة أُخذت من المصادر التي تحدثها الأسماء، وإنّما أراد بالأسماء، أصحاب الأسماء وهم الفاعلون[٦]، أو هو ما دلّ على معنىً وزمان، وذلك الزمان، إما ماضٍ، وإما حاضرٌ، وإما مستقبل[٧]، أو هو لفظ يدل على معنى في

---

(١) ينظر النهاية: ١/١٠٩.

(٢) ينظر المفردات: ٣٩٨.

(٣) ينظر لسان العرب: ٤/٧٢٢ (الفعل).

(٤) ينظر كتاب سيبويه: ١/١٢، وشرح السيرافي: ١/١٦، والنهاية: ١/١٠٩.

(٥) ينظر كتاب سيبويه: ١/١٢.

(٦) ينظر شرح السيرافي: ١/١٦.

(٧) ينظر الأصول: ١/٣٨.

نفسه ويتعرض ببنيته للزمان، ولا يدل جزء من أجزائه على جزء من أجزاء معناه[١].

وللفعل دلالتان: دلالة على المصدر، وهي مستفادةٌ من لفظه، ودلالة على الزمان، وهي مستفادة من صيغته، فإذا صرّفتهُ ماضيًا، ومضارعًا، وأمرًا، لم تختلف دلالته على مصدر؛ لوجود حروف الأصول في التصاريف، واختلفت دلالته على الزمان؛ لزوال الصيغة، وليست دلالته على المصدر والزمان دلالة اشتراكية؛ لأنّها لو كانت اشتراكية، لجاز أن يراد به أحد المعنيين دون الآخر، وهذا لا يمكن في الفعل؛ لأنك لا تريد الزمان وحدهُ، ولا المصدر وحدهُ، وها هنا زيادة أُخرى، وهي: أنك تريدها مقترنة[٢].

إنّ دلالة الفعل على الزمان مختلف فيها فمنهم من يرى أنّها بالذات واستدلّ بتغيير البنية بتغيير الزمان، ومنهم مَن يرى أنّها تدل على أنّ الحدث ماضٍ أو غير ماضٍ، فينجر الزمان الماضي مع الحدث الماضي، والزمان غير الماضي مع الحدث غير الماضي[٣].

يشكل الفعل بدلالته على الحدث والزمان مع الاسم كلامًا فعليًا وحظهُ من ذلك أن يكونَ مسندًا دائمًا، فوجود الفعل بحدثه وزمانه لا ينفك عن وجود الفاعل له، وأمّا ما وُجِدَ من أفعال لا تأخذ فاعلًا بل تدخل على مبتدأ أو خبر ويطلق عليها الأفعال الناقصة، إنّما سميت ناقصة؛ لأنها لا تتمُّ بالمرفوع

---

(١) ينظر شرح جمل الزجاجي: ١/٩٧.

(٢) ينظر النهاية: ١/١١٠.

(٣) ينظر التذييل: ١/٤٩.

كلامًا، بل بالمرفوع مع المنصوب بخلاف الأفعال التامّة، فإنّها تتمُّ كلامًا بالمرفوع دون المنصوب، وأما قول بعضهم من أنها سميت ناقصة؛ لأنّها تدل على الزمان دون المصدر، فليس بشيء؛ لأنّ (كان) في نحو: كان زيدٌ قائمًا، يدل على الكون الذي هو الحصول المطلق، وخبرهُ يدل على الكون المخصوص، وهو كون القيام، أي حصوله، فجيء أولًا بلفظٍ دال على حصول ما، ثُمَّ عُيِّنَ بالخبر، فكان يدل على حصول حدث مطلق تقييدهُ في خبره، وخبرُهُ يدل على حدثٍ معينٍ واقع في زمان مطلق تقييدهُ في (كان)[1]، وبعضهم يسميها أفعال عبارة؛ لأنّها لما دخلت على المبتدأ والخبر، وأفادت الزمان في الخبر صار الخبر كالعوض من الحدث، فلذلك لا تتم الفائدة بموضوعها حتى تأتيَ بالمنصوب[2].

يعد التركيب الفعلي ذا أثر واضح في بناء النص وربط أجزائه بعضها مع بعض من حيث الاستبدال، والحذف والحبك المعجمي بتكراره وتضامه.

---

(١) ينظر شرح الرضي: ٤/١٨٢.

(٢) ينظر شرح المفصل: ٣/٣٥٤.

المبحث الأول

الاستبدال الفعلي

الاستبدال الفعلي: هو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أنْ تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية[١]، ومن تلك المقولات (فعل، وعمل) مكان فعل خاص، ومثاله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة/١]، إذ أبدل قوله (مَن يفعله) مكان قوله (لا تتخذوا)[٢].

ويعبّر عنه بالفعل البديل/ الكنائي (pro – verb) فعل، ويقابل في الانكليزية الفعل (do)، حيثُ يأتي إضمارًا للفعل، أو لحدث معين، أو عبارة فعلية، ليحافظ على استمرارية محتوى الفعل/ العبارة الفعلية الأكثر تحديدًا، مثل:

إني أفهمك تمام الفهم يا سيدي، وهذا أكثر مما أفعله بنفسي[٣].

---

(١) ينظر نحو النص (زنيد): ١٢٣.

(٢) ينظر نفسه.

(٣) ينظر علم لغة النص (عزة): ١١٤.

يقول جمعان: الاستبدال الفعلي ويمثلهُ استعمال الفعل (يفعل) في اللغة الانكليزية (do) وقد مثل مصطفى صلاح قطب بالفعل نفسه في اللغة العربية كما يأتي: «هل تعتقد أنّ أحمد لا يصارحك بالحقيقة؟ أعتقد أن كل شخص يفعل، فكلمة (يفعل) استبدلت بكلام كان يجب أن يحل محلها وهو (لا يصارح بالحقيقة)، والحقيقة أنّ الفعل (يفعل) غير كثير الاستعمال في اللغة العربية المعاصرة، وأكثر منه استعمالًا هو الفعل (يقوم)»[1].

أرى أن الاستبدال الفعلي من المجحف في لغتنا أن نقصرهُ على ما نُقل لنا من الدرس الغربي وأن نقصرهُ على الفعل (يفعل، ويعمل)، بل لغتنا أوسع استبدالًا للأفعال ويتم بطرائق مختلفة كالشرط، والطلب، والأفعال الدالة على المدح والذم، ثم أُريد أن أقول هل الاستبدال يتم بالفعل وحدهُ أم بالفعل ومتعلقاته، الظاهر أنّه يتم بالفعل ومتعلقاته، فإذا كان كذلك فهو الاستبدال القولي الفعلي، هذا المنظور الفكري لا يظهر عند الطبرسي بما قدّمه الدرس النصي من مصطلح ومفهوم، لكنه يظهر عن طريق تفسيره للآيات وبيان معانيها.

قلنا إنّ الاستبدال الفعلي يتم بطرائق مختلفة منها:

أحدها: الشرط: أُريد به الكلام الذي يحمل أداة شرط وفعل شرط وجوابه، إذ يحدث الاستبدال بجواب الشرط، ومن ذلك ما يأتي:

---

(١) ينظر إشكالات النص: ٣٥٤.

١. قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ [التكوير/١،٢،٣،٤،٥،٦،٧،٨،٩،١٠،١١،١٢،١٣]، بيّن الطبرسي المراد من النص القرآني، إذ ابتدأ ببيان التكوير أي: إنّ الشمس يذهب نورها وضوؤها، فالتكوير يعطيه وجهان هما: أن يكون من تكوير العمامة وهو لفها، يُلّفُ ضوؤها فيذهب انتشارهُ وانبساطه في الآفاق، وهي عبارةٌ عن إزالتها والذهاب بها، أو يكون لفُّها عبارة عن رفعها وسترِها؛ لأنّ الثوبَ إذا أُريد رفعه لُفّ وطُوِي، ووضّح المراد من الإنكدار وهو الانقضاضُ، والجبال تسير عن وجه الأرض والعشار التي أتى على حملها عشرة أشهر فصاعدًا تترك معطلة لانشغال أهلها بنفوسهم والوحوش تحشر حتى يقتص لبعضها من بعض، أو موتها، والبحار تسجر مملوءةً بالحطب فيفجّر بعضها إلى بعض حتى يصير بحرًا واحدًا، أو أوقدت فصارت نارًا تضطرم، والنفوس تزوج بأن تقرن كلُّ نفس بشكلها، أو تقرن الأرواح بالأجساد، أو تُقرن نفوس الصالحين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين، والموؤدة تسأل عن ذنب قتلها وسؤالها: لقاتلها تبكيت وتوبيخ، أو السؤال عن القرابة وقطعها، والصُحف الأعمال التي تطوى عند موته، ثم تُنشر إذا حوسب، والسماء تكشط أي تكشف وتزال، كما يُكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن

الشيء، والجحيم تسعَّر بإيقادها إيقادًا شديدًا، والجنة تُزلف أي تقرب من أهلها بما فيها من نعيم[١]، فكل ما ذكر جوابه قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير/١٤]، يقول الطبرسي: أي إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرًا من عملها كما قالوا أحمدته وجدته محمودًا، وقيل علمت ما أحضرته من خير وشر[٢].

إن الشرط قد استبدل بجوابه، وهو قوله (علمت) بدلًا عن كل ما ذكر من شرط.

٢. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [ال عمران]، بيّن الطبرسيّ أنّ الله يعلم ما في الصدور من ولاية الكفار، أو غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه الله) ولم يخف عليه؛ لأنّه يعلم ما في السموات وما في الأرض، فلا يخفى عليه شيءٌ، فلا يخفى عليه سركم وجهركم[٣]، إن جواب الشرط قد وقع استبدالًا لفعل الشرط ومعطوفه (تبدوه).

٣. قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/٧٣٦.

(٢) ينظر مجمع البيان: ١٠/٤٤٤.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٢٧٧.

﴿ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الاسراء/١٨، ١٩]، وضّح الطبرسيّ الآيتين بقوله: من كانت العاجلة، وهي النعم الدنيوية همّتَهُ، ولم يُرد غيرها تفضلنا عليه منها (لمن نريد) فقيّد الأمر بقيدين: أحدهما تقييد المعجل بالمشيئة، والثاني تقييد المعجّل له بإرادته، ومن كان يريد الآخرة وسعى لها سعيًا فاشترط لكون السعي (مشكورًا) ثلاث شرائط هي: إرادة الآخرة، والسعي فيما كُلِّفَ من الفعل والترك والإيمانُ الصحيح، وشكرُ الله سعيه هو ثوابه على الطاعة[١]، وقع الاستبدالُ في مكانين الأول استبدال (عجّلنا) بـ(يريد) أي استبدال جواب الشرط بفعله، الموطن الثاني هو استبدال الجملة الاسمية مكان (أراد الآخرة)، أي جواب الشرط بفعله، والأصل في جواب الشرط أن يكون فعلًا والمراد من استبدال إرادة الآخرة بالشكر، كأن التقدير من أراد الآخرة وسعى لها سعيًا يُشكر سعيه.

يقول ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ): «وإذا لم تصلح الجملة الواقعة جوابًا، لأن تقع بعد أداة الشرط وجب اقترانها بالفاء»[٢].

إذن يقترن جواب الشرط بالفاء حين يخرج عن أصله.

ثانيهما: الطلب، ويتم ذلك بإسقاط الفاء من الفعل المضارع إذا تقدم أحد المواضع الثمانية التي ينتصب بعدها الفعل، فإذا سقطت الفاء تحقق الجزم عن طريق الطلب[١].

---

(١) ينظر نفسه: ٢/٣٦٥.

(٢) قطر الندى: ٩٢.

والمواضع الثمانية هي:

١. الأمر.

٢. التمني.

٣. العرض.

٤. التحضيض.

٥. الدعاء.

٦. الاستفهام.

أما النفي فيرتفع بعده الفعل مطلقًا، والنهي عند فساد المعنى(٢).

يحدث الاستبدال عن طريق الجواب، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف/١١،١٢]، يقول الطبرسي: (تؤمنون) استئناف، كأنّهم قالوا: كيف نعمل؟ فقيل لهم: تؤمنون، وهو خبرٌ في معنى الأمر، ولهذا أُجيب بقوله: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ وإنّما جيء به على لفظ

---

(١) ينظر المحصول: ٦٤٢/٢، وشرح الرضي: ١١٩/٤.

(٢) ينظر المحصول: ٦٤٢/٢، وشرح الرضي: ١١٦/٤.

الخبر للإيذان بوجوب الامتثال، فكأنّه امتثل، فهو يُخبَر عن إيمانٍ وجهادٍ موجودين[١].

يقول ابن هشام الأنصاري: «جُزم (يغفر)؛ لأنّه جواب لقوله تعالى: ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ﴾؛ لكونه في معنى امنوا وجاهدوا، وليس جوابًا للاستفهام، لأنّ غفران الذنوب لا يتسبب عن نفس الدلالة، بل عن الإيمان والجهاد»[٢].

الاستبدال تم عن طريق الفعل (يغفر) الذي هو جزاء الطلب بالفعل تؤمنون وتجاهدون.

٢. قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/١٤]، ذكر الطبرسيّ أنّ الله أكد القتال بالأمر فقال: (قاتلوهم)، ثم وعدهم أنّه (يعذبهم) بأيديهم قتلًا ويخزيهم أسرًا وينصرهم عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين[٣]، هنا حدث استبدال بالجواب من الطلب بفعل الأمر (قاتلوهم) فاستبدل بالفعل يعذبهم وبما عُطف عليه من الخزي والنصر والشفاء.

٣. قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه/٦٩]، ذكر الطبرسيّ أنّه قُرئ:

---

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/٥٥٥.

(٢) قطر الندى: ٨١.

(٣) تفسير جوامع الجامع: ٢/٥١.

(تلقّفُ) بالرفع[١] على الاستئناف، أو على الحال، أي: ألقاها متلقفة، وقُرئ: (تلقفْ) بالتخفيف[٢]، (ما صنعوا) أي ما زوروا وافتعلوا[٣]، هنا استبدل الفعل (تلقف) بالفعل (الق)، وكما وقع الاستبدال بين (ما صنعوا)، قوله (إنما صنعوا) إذ استبدل إنما صنعوا، بالصنع الأول الذي وصفه الله بأنّه صنع ساحر ليس حقيقي.

ثالثها: أفعال المدح والذمّ: أُريد بها أفعال تدل على المدح والذم وهما (نِعْمَ، وبئس) وما في معنيهما، كـ(ساء) بمعنى بئس[٤].

يحدث الاستبدال عن طريق هذه الأفعال بأنها تمدح أو تذم ما يذكر قبلها من ذكر فتوجزهُ بتركيبها، والطبرسيّ لا يشير إلى ظاهرة الاستبدال، ولكن يظهر ذلك عن طريق تفسيره وبيانه الآيات، ومن أمثلة الاستبدال بأفعال المدح والذم ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

(١) قرأ بها ابن عامر وابن ذكوان، وأبو حيوة الشامي ويحيى بن حارث، بالتضعيف والرفع، ينظر كتاب السبعة: ٤٢٠، الحجة لابن خالويه: ٢٤٤، والعنوان: ١٣٠، والنشر: ٣٢١/٢، ومعجم القراءات: ٤٥٨/٥.

(٢) قرأ بها أبو جعفر وحفص عن عاصم والسلمي بالتخفيف والجزم، وعليه رسم المصحف، ينظر كتاب السبعة: ٤٢١، والحجة لابن خالويه: ٢٤٤، والعنوان: ١٣٠، ومعجم القراءات: ٤٥٨/٥.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٤٩١/٢.

(٤) ينظر توضيح المقاصد: ٧٠/٢.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [ال عمران/ ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦]، وضّح الطبرسيّ الآيات بقوله: المسارعة إلى المغفرة والجنة، الإقبال على ما يُستحق به الثواب من فعل الطاعات وأداء الفرائض، وأنّ من يفعل ذلك له جنة عرضها كعرض السموات والأرض، إذ المراد وصفها بالسعة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلق الله، وخص العرض؛ لأنّه في العادة أدنى من الطول للمبالغة، وأنّ الجنة مخلوقة؛ لأنّها لا تكون معدة إلا وهي مخلوقة، (أُعدت للمتقين) الذين ينفقون في حال الرخاء واليسر وفي حال الضيق والعُسر ما قدروا عليه من كثيرٍ أو قليل لا يمنعهم حال نعمة ولا حاله من المعروف، وكظمهم الغيظ: أن يمسِكَ على ما في نفسه منه بالصبر ولا يُظهره، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ الذين عطفٌ على المتقين وقوله (أولئك) إشارة إلى الفريقين، ويجوز أن يكون (والذين) مبتدأ وخبرهُ أولئك، (فعلوا فاحشة) من فعله متزايد في القُبح، (أو ظلموا انفسهم) بمقارنة الذنوب، (ذكروا الله)، بنهيه ووعيده أو عقابه، انزجروا عن المعصية، واستغفروا لذنوبهم، بأن قالوا: اللّهم أغفر لنا ذنوبنا (ومن يغفر الذنوب إلا الله) وصفٌ لذاته بسعة الرحمة وهنا بيانٌ أنّ المؤمنين ثلاثُ طبقات: متقون، وتائبون ومصرون، وأنّ للمتقين

منهم الجنة والمغفرة (ونعم أجر العاملين)، أي نعم أجرُ العاملين ذلك، أي: المغفرة والجنان[١].

إن الذي ذكره الطبرسيّ من بيان لهذه الآيات وما بينها من ترابط ثم ختم بيانه بحديثه عن قوله تعالى: (ونعم أجر العاملين)، التي هي استبدال لكل فعل فيه صلاح فعله المتقون والتائبون، فنعم مدح لما سبق ونتيجة لما قاموا به من خير وصلاح، فنعم تجمع كل ما ذكر من صفات سابقة.

٢. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف/٥٠]، بيّن الطبرسي أنّ كون إبليس من الجنّ هو سبب فسقه، ومعناهُ الخروج عن أمر ربه من السجود، أو صار فاسقًا كافرًا بسبب (أمر ربه) الذي هو قوله: ﴿ ٱسْجُدُواْ ﴾، ثم بيّن (أفتتخذونه) بأن الهمزة للإنكار والتعجب، أي: أبعد ما وجِدَ منه تتخذونه وذريتهُ أولياء من دوني وتستبدلونهم بي، بئس البدل من الله إبليس لمن استبدله[٢].

هنا استبدال بفعل الذم مما سبقه من فعل وهو قوله (تتخذونه) لذا كان هذا الاتخاذ مذمومًا وهو منطلق من الظلم.

---

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣٢٨/١، ٣٢٩.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٤٢١/٢.

٣. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف/١٧٦، ١٧٧]، وضّح الطبرسيّ الآيات عن طريق التناص بأنّ المقصود بهذه الآيات هو بلعم بن باعوراء الذي كان عالمًا من علماء بني إسرائيل أوتى عِلْمَ بعض كُتُب الله فانسلخ منها ونبذها وراء ظهره، قال الإمام الباقر عليه السلام: «الأصل فيه بلعم ثُمَّ ضربه اللهُ مثلًا لكل مُؤْثِرٍ هواهُ على هدى الله من أهل القبلة»[1]، فبيّن أنّ الله لوشاء لرفعه إلى منازل الأبرار من العلماء، ولكنه مال إلى الدنيا ورغِب فيها وإنّما عَلَّقَ رفعه بمشيئة الله تعالى، ولم يعلقه بفعله الذي يستحق به الرفع؛ لأن مشيئة الله رفعَه تابعةٌ للزومه الآيات فَذُكِرت المشيئة والمراد ما هي تابعةٌ له، فكأنّه قيل: ولو لَزِمَها لرفعناه بها، ثم بيّن أنّ صفته كصفة الكلب في أخس أحواله، وهي حالُ دوامِ اللهث به واتصاله، سواء حُمِلَ عليه أي: شُدّ عليه وهُيّجَ فطرِد أو تُرِك غير محمولٍ عليه؛ وذلك أنّ سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هُيّج وحُرِّك وإلا لم يلهث، والكلب تصل لهثه في الحالتين جميعًا، فكان حق الكلام: ولو

(١) التبيان: ٥/٣٢.

شئنا لرفعناهُ بها ولكنّهُ أخلد إلى الأرض فحططناهُ، ثم ذكر قوله تعالى (ساء مثلًا القوم)، أي: مثلُ القوم[١].

هنا في الآيتين حدث استبدال لما تقدم في آية ١٧٦، بالآية ١٧٧، بقوله (ساء مثلًا القوم) فالفعل ساء الذي يحمل معنى الذم استبدل به كل ما ذكر من فعلٍ في الآية التي سبقته والجامع على ذلك التمثل بالكلب والذم لهذا التمثيل وأصحابه.

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٧٢٣.

المبحث الثاني

الحـــذف الفعلـــي

تكلمنا عن الحذف مصطلحًا ومفهومًا وعن أنواعه وذكرنا الحذف القولي ومثلنا له أيضًا، وفي هذا البحث نتناول الحذف الفعلي.

الحذف الفعلي: هو الحذف الذي يحدث داخل المركب الفعلي[١].

والحذف الفعلي مما اعتنى به علماء العربية وبيّنوه بصوره المتنوعة من حيثُ الجائز والواجب والممتنع، فيحذف فعل الفاعل: جوازًا، ووجوبًا، فجوازًا إذا استلزمه فعل قبله، أو أُجيب به نفي، أو استفهام، ظاهر أو مقدر نحو قولك في النفي: بلى زيدٌ، لمن قال: ما قام أحدٌ، التقدير: بلى قام زيدٌ، والمجاب به الاستفهام نحو قولك: مَنْ قرأ، فتقول: زيدٌ، والتقدير: قرأَ زيدٌ، والحذف الواجب يكونُ إذا فُسِرَ بما بعد الفاعل: من فعل مسند إلى ضميره أو ملابسه، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة/٦]، وهلا زيدٌ قام أبوهُ، التقدير: وإن استجارك أحدٌ من المشركين استجارك، وهلا لابس زيدٌ أبوهُ، إلا أنّه لا يتكلم به؛ لأنّ الفعل الظاهر كالبدل من اللفظ بالفعل المضمر، فلم يجمع بينهما[٢].

---

(١) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٢، ومدخل إلى علم النص (الصبيحي): ٩٣، والسبك: ١٢٢.

(٢) ينظر شرح ابن عقيل: ١/ ٤٧٤، وشرح ابن الناظم: ١٦٠، وتوضيح المقاصد: ١/ ٢٤٢.

هذا بالنسبة إلى حذف الفعل دون فاعله، وأما حذفهما معًا، فقد تكلموا عنهما أيضًا، فذكروا أنّ حذفهما على ضربين: جائز، وواجب، فيحذفا جوازًا، إذا دل على الفعل قرينة حالية، كقولك لمن سدد سهمًا، القرطاس، بإضمار تُصيب، ولمن يتأهب للحج: مكة والله، بإضمار: تريد، أو مقالية، كقولك زيدًا، لمن قال من ضربت؟ وكقولك بلى شر الناس، لمن قال: ما ضربتُ أحدًا.

ويجب حذفهما، إذا فسره ما بعد المنصوب، نحو: أزيدًا رأيتهُ، أو كان إنشاءً نداءً، نحو: يا زيدُ وغيرها[١].

إن موضوع الحذف أخذ جانبًا كبيرًا في مؤلفات علمائنا لما له من أهمية في ربط أجزاء الكلام فيما بينها، حتى سمي الحذف شجاعة العربية؛ لأنّه يشجع على الكلام[٢].

الحذف في الكلام الفعلي على قسمين:

القسم الأول: حذف الفعل وحدهُ.

القسم الثاني: حذف الفعل مع فاعله، وهذا الحذف يدخل ضمن الحذف القولي؛ لأنّه حذف مركب تام.

ويشير هاليداي ورقية إلى نوعين من الحذف الفعلي، الذي يحدث داخل المركب الفعلي:

---

(١) ينظر شرح ابن ناظم: ١٨٢، وتوضيح المقاصد: ٢٧١/١، ومغني اللبيب: ٤٠٧/٢.

(٢) ينظر الاتقان: ١٤٧/٢.

الأول: الحذف المعجمي: حيثُ يفقد الفعل المعجمي من المجموعة الفعلية.

الثاني: حذف العامل: ويتضمن حذف العامل فقط، ويظل الفعل المعجمي كما هو، ويحدث هذا بين الجمل المتاخمة مع بعضها، مثل السؤال والإجابة[١].

اعتنى الطبرسيّ في تفسيره ببيان المحذوف، وتوضيحه سواء أكان فعلًا، أم مركبًا فعليًا، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾[التكوير/ ١]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[الانشقاق/١، ٢]، وضّح الطبرسيّ أن المحذوف بعد (إذا هو فعلٌ، فالشمس مرفوعٌ بالفاعلية، رافعها فِعلٌ مضمر يفسرهُ (كورت)، لإنّ (إذا) يطلبُ الفعل لتضمينه معنى الشرط[٢]، في تفسيره الانشقاق قال: (انشقت) تصدعت وانفجرت، وجواب إذا ما دل عليه قولُهُ: ﴿ فَمُلَٰقِيهِ ﴾[الانشقاق/٦]، أي إذا انشقت السماء لاقى الإنسان كدحه[٣]، العلامة هنا وضّح المحذوف بعد (إذا) حين رتب الكلام دون حذف، فقال إذا انشقت السماء، أضف أنه بيّن محذوف آخر وهو جواب الشرط وهو الفعل (كدحه) الذي قدرهُ من طريق تفسيره السورة.

---

(١) ينظر علم لغة النص (عزة): ١١٨.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/ ٧٣٤.

(٣) ينظر نفسه: ٣/ ٧٥٢.

٢. قال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾ [الاسراء/ ١٠٠]، يقول الطبرسي: (قل لو أنتم تملكون) تقديرهُ: لو تملكون أنتم تملكون؛ لأنّ (لو) لا تدخل إلا على الفعل، فأُضمر (تملكون) على شريطة التفسير، وأُبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل، وهو (أنتم)، فأنتم فاعل لفعل محذوف، وتملكون تفسيره، أي: لو ملكتم[١].

٣. قال تعالى: ﴿ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾ [النساء/١٧٦]، أوضّح الطبرسيّ أن حذفًا فعليًا وقع في قوله تعالى (إن امرؤٌ هلك)، إذ قال: قالوا إنّه آخر ما نزل من أحكام الدين، كان جابر بن عبد الله مريضًا فعادهُ رسول الله (ص)، فقال يا رسول الله: إنّي كلالة فكيف أصنع في مالي؟ فنزلت (إن امرؤٌ هلك)[٢]، فامرؤٌ مرفوعٌ بفعلٍ يفسرهُ الظاهر وهو (هلك)[٣].

---

(١) ينظر نفسه: ٢/٣٩٦.

(٢) ينظر أسباب النزول: ١٨٠.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٤٦٦.

هذه النماذج للحذف الفعلي وحدهُ دون الفاعل، وأما حذف الفعل مع فاعله فهو كثيرٌ منها:

١. قال تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة/١]، ذكر الطبرسيّ أنّ الباء تعلقت بمحذوف تقديرهُ: بسم الله أقرأُ، ليختص اسم الله بالابتداء به، كما يقال للمعرس: (باليُمن والبركة) بمعنى: أعرست، وإنّما قُدِّر المحذوف متأخرًا؛ لأنهم يبتدؤون بالأهم عندهم[١].

يقول الزركشي (ت٧٩٤هـ): واعلم أن النحاة اتفقوا على أن (بسم الله) بعض جملة، واختلفوا.

فقال البصريون: الجملة اسمية أي ابتدائي بسم الله.

وقال الكوفيون: الجملة فعلية، وتابعهم الزمخشري في تقدير الجملة الفعلية، ولكن خالفهم في موضعين: أحدهما أنهما يقدران الفعل مقدمًا وهو يقدرهُ مؤخرًا، والثاني: أنهم يقدرون فعل البداية، وهو يقدرهُ في كل موضع بحسبه، فإذا قال الذابح بسم الله كان تقديرهُ بسم الله أذبح، وإذا قال القارئ بسم الله، فالتقدير: بسم الله أقرأ[٢]، وما قال أجود مما قالوهُ، لأنّ مراعاة المناسبة أولى من إهمالها؛ ولأن اسم الله أهم من الفعل فكان أولى بالتقديم[٣].

---

(١) ينظر نفسه: ١/٥٣.

(٢) ينظر الكشاف: ١/٤٥،٤٦.

(٣) ينظر البرهان: ٧٤٩.

٢. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٨٠]، بيّن الطبرسيّ الآية القرآنية، بقوله: قالت اليهود (لن تمسنا النار)، أي: لن تصيبنا النار (إلا أيامًا معدودة)، أي قلائل أربعين يومًا عدد أيام عبادة العجل، (فلن يُخلف اللهُ عهدَهُ) متعلق بمحذوف تقديرهُ إنْ اتخذتم عندهُ عهدًا فلن يخلف الله عهدهُ[1]، بيّن أن المحذوف هو أداة الشرط مع فعلها وفاعلها، وهذا الحذف أدى إلى الإيجاز ودقة الربط بين أجزاء النص.

٣. قال تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة/٢٥٩]، بيّن الطبرسي أنّ النص ابتدأ بكلمة متعلقة بمحذوف، إذ قال: (أوكالذي) معناهُ: أو رأيت مثل الذي مرّ، فحُذف لدلالة

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/ ١٢٠.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ﴾ [البقرة/ ٢٥٨]عليه؛ لأنّ كلتيهما كلمة تعجيب، ويجوز أن يحمل على المعنى كأنه قيل: أرأيت كالذي حاج إبراهيم[١].

(١) ينظر نفسه: ١/٢٣٨.

المبحث الثالث

الحبك المعجمي الفعلي

الحبك المعجمي، أو الربط المعجمي: هو الربط الذي يتحقق من طريق اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر(١).

يمثل هذا النوع من الربط مظهرًا من مظاهر التحليل النصي المعاصر؛ إذ يسهم بشكل واضح في ربط العناصر اللغوية المشكلة للنص، ويختلف عن السبك النحوي الشكلي في كونه لا يبحث عن العنصر المفترض الذي يمثل إحالة أو ما إلى ذلك، ولا عن علاقة نحوية تشكل نسيج النص، بل يتحقق الحبك المعجمي عن طريق ظاهرتين لغويتين هما: التكرار والتضام(٢).

يعد الحبك المعجمي الفعلي احد الوسائل التي يتم بها الربط النصي بين أجزاء النص حيث يحيل فعل على فعل سابق عليه، وهذا الحبك ينقسم على قسمين هما:

---

(١) ينظر علم لغة النص (عزة): ١٠٥.

(٢) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٤، ولسانيات النص (قياس): ١٢٤.

القسم الأول: التكرار الفعلي

التكرار يطلق عليه (إعادة اللفظ، أو الإحالة التكرارية)، وهو شكل من أشكال الربط النصي، ويتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، إن هذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطًا بين أجزاء النص بشكل واضح[١]، وهذه الظاهرة كانت محل عناية علمائنا، لاسيما المفسرون، وذلك لبيان النص القرآني.

والعلامة الطبرسي يبيّن هذه المواضع في أغلب وجودها في النصوص القرآنية، والتكرار الفعلي يكون بالفعل وفاعله مطلقًا ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [ال عمران/١٨٨]، بيّن العلامة الآية القرآنية ببيان الإحالة المقامية إذ قال: (لا تحسبنّ) خطاب لرسول الله (ص)، (الذين يفرحون) مفعول أول، و(بمفازة) مفعول ثانٍ، (ولا تحسبهم) تأكيد تقديرهُ: لا تحسبنّهم فلا تحسبنّهم فائزين[٢].

ورد الفعل مكررًا، القصد منه التأكيد وهذا التأكيد أدى إلى ربط أجزاء النص، الفعل لم يكرر بمفرده بل كان مع فاعله ومتعلقاته واقعًا في التكرار.

---

(١) ينظر نحو النص (عفيفي): ١٠٦.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٣٥٩.

٢. قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة/٣٨، ٣٦،٣٧]، بدأ الطبرسيّ في بيان النص عن طريق إيضاح المعاني، (فأزلهما) أي: حملهما على الزلة (الشيطان) يعني: إبليس، نَسَبَ الزلة إلى الشيطان لما وقعت بدعائه ووسوسته (عنها) عن الجنة فأخرجهما من المنزلة والنعمة والدعة، وأضاف الإخراج إلى الشيطان؛ لأنّه كان السبب فيه، وإنّما أخرج الله آدم من الجنّة؛ لأن المصلحة اقتضت بعد تناوله الشجرة إهباطه إلى الأرض وابتلاءَهُ بالتكليف وسلبه ثياب الجنة، كما تقتضي الحكمة الإفقار بعد الإغناء، والإماتة بعد الإحياء، (وقلنا اهبطوا) خطاب لآدم وحواء، والمراد: هما وذريتهما؛ لأنّهما لما كانا أصل الإنس جُعلا كأنّهما الإنس كلُّهم، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [طه/١٢٣]، (بعضكم لبعض عدو) والمعنى فيه: ما عليه الناس من التعادي والمخالفة وتضليل بعضهم بعضًا، ثم تلقى آدم كلمات استقبلها بالأخذ والقبول، ثم كرّر سبحانه ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ ﴾ [البقرة/٣٨] للتأكيد ولما تبعه من قوله: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى

هُدًى ﴾ [البقرة/٣٨]، أي: فإن يأتكم منيّ هدىً برسول أبعثه إليكم وكتاب أُنزله عليكم(١).

بيّن الطبرسيّ سبب تكرار قوله تعالى: (قلنا اهبطوا)؛ ذلك للتأكيد، لكن هذا الأمر أدى إلى ترابط النص بيّن الآية٣٦، والآية٣٨.

يقول الكرماني (ت٥٣١هـ): «قوله: ﴿ ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا ﴾ [البقرة/ ٣٦،٣٨] كرر الأمر بالهبوط؛ لأنّ الأول من الجنّة والثاني من السماء»(٢).

٣. قال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [يونس/ ٩٠،٩١]، ذكر الطبرسيّ أنّ لفظ (آمنت) تكررت ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصًا على القبول ثم لم يُقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله في وقت الإلجاء، وكانت المرة الواحدة كافيةً وقت الاختيار وبقاء التكليف، ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ ﴾ [يونس/ ٩١]، أي: أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرقُ؟(٣).

---

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/ ٩٥،٩٦،٩٧.

(٢) أسرار التكرار: ٢٦.

(٣) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٢/ ١٤٥.

بيّن أن لفظ (آمنت) تكرر للتأكيد من حيث هو حرصٌ على القبول[١].

٤. قال تعالى: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة/٥٣، ٥٤، ٥٥]، وقال في موطن آخر من السورة نفسها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة/٨٥، ٨٤]، وضّح الطبرسيّ النص الأول بحديثه عن الإنفاق (طوعًا أو كرهًا)أي حالٌ بمعنى طائعين أو مُكرهين، وهو أمرٌ في معنى الخبر والمعنى: ﴿ لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة/ ٥٣]، ما انفقتم طوعًا، أو كرهًا، ونحوه قوله: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [التوبة/ ٨٠]، أي: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم، وإنّما يجوز هذا إذا دلّ الكلام عليه، كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيدًا، أو الله غفر له، (إنكم

---

(١) المراد من تكرار (آمنت) مرتين و(أنا من المسلمين) ثلاث عبارات، ينظر الكشاف: ٣٤٨/٢، وتفسير النسفي: ٧٠٠/٢.

كُنتم قومًا فاسقين) تعليلٌ لرِدِ نفاقهم، (أنهم كفروا) فاعل (منع)، أي: لم يمنع المنافقين قبول نفقاتهم إلا كُفرهم (بالله ورسوله)، والإعجاب بالشيء أن تُسَرَّ به سرورَ راضٍ به متعجِّبٍ من حُسنِهِ، والمعنى: فلا تستحسن ما أُوتوا من زينة الدنيا، فإنّ الله أعطاهم ذلك للعذاب، بأن عرّضه للغنائم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب، وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير، (وهم كارهون) على رغم أُنوفهم وأذاقهم أنواع الكُلَفِ في جمع الأموال وتربية الأولاد[1]، ثم جاءت النصوص حتى نص أربع وثمانين وخمس وثمانين، فوضّح أن أحدهم إذا مات لا يُصلى عليه ولا يقام عند قبره، (مات) صفةٌ لـ(أحدٍ)، وإنّما قيل بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والموجود؛ لأنّه كائنٌ موجودٌ لا محالة (إنهم كفروا) تعليلٌ، للنهي، وأُعيد قوله: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ ﴾ [التوبة/٨٥]؛ لأنّ تجدُّد النزول له شانٌ في تقدير ما نزل له وتأكيده لاسيما إذا تراخى ما بين النزولين، ويجوز أن يكون النزولان في فريقين من المنافقين[2].

وضّح الطبرسيّ تكرار المركب الفعلي الذي جاء في النصين، وذكر أن التراخي أدى إلى إعادة الذكر مرة أُخرى، وهذا الأمر ما يؤكدهُ نحو النص على قدرة التكرار في ربط أجزاء النص بعضها مع بعض.

---

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٢/ ٧٠.

(٢) ينظر نفسه: ٢/ ٨٥.

القسم الثاني: التضام الفعلي

عرفنا أن التضام هو: توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقوة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك[١].

فمثلًا: ما لهذا الولد يتلوّى في كل وقت وحين؟ البنات لا تتلوّى.

فالولد والبنات ليسا مترادفين، ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية[٢].

ويطلق عليه المطابقة، أو المصاحبة اللغوية[٣]، يساعد التضام على ترابط العناصر اللغوية بعضها مع بعض، من طريق علاقة التقابل، أو التعارض، ويتم الربط من طريق توقع القارئ للكلمة المقابلة، فالكاتب يمنح القارئ فرصة الإبحار في عالم النص من طريق السلسلة المتتابعة للكلمة، التي تسهم بشكل واضح في خلق سبك النص[٤].

يقول د. خطابي: إنّ العلاقة التي تحكم هذه الأزواج في خطاب عبارة عن علاقة تعارض: كالولد والبنت، وقف وجلس، أو علاقة كل بجزء، أو جزء بجزء، وهذه العلاقة التي يعتمدها التضام في إرجاع هذه الأزواج إلى علاقة واضحة تحكمها ليس دائمًا أمرًا هينًا، لكن القارئ يتجاوز هذه الصعوبة بخلق

---

(١) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٥.

(٢) ينظر نفسه.

(٣) ينظر لسانيات النص (قياس): ١٣٤، ونحو النص (زنيد): ١٤٠.

(٤) ينظر لغة النص (عزة): ١٠٩، ولسانيات النص (قياس): ١٣٤.

سياق تترابط فيه العناصر المعجمية معتمدًا على حدسه اللغوي، وعلى معرفته بمعاني الكلمات وغير ذلك[١].

يظهر التضام عن طريق الأسماء، أو الأفعال، ووضّحنا التضام الاسمي، وهنا نريد أن نوضّح التضام الفعلي، وكيف قدّمه الطبرسيّ من طريق تفسيره وبيانه للنصوص القرآنية، ومن نماذج التضام الفعلي ما يأتي:

١. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ال عمران/٢٦،٢٧]، بيّن العلامة المعاني المرادة في الآيتين، إذ قال: (مالك الملك) أي: تملك جنس الملك فتتصرفُ فيه تصرُّفَ المُلاك فيما يملكونه (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء من الملك النصيب الذي قسمته له (وتنزع الملك ممّن تشاء) النصيب الذي أعطيته منه، فالملك الأول عامٌ والآخران خاصّان بعض من الكل (وتُعز من تشاء) من أولياءك في الدنيا والدين، (وتُذل من تشاء) من أعدائك (بيدك الخير) تؤتيه أوليائك على رغمٍ من أعدائك (تولج الليل في النهار) أي: تنقص من الليل وتجعل ذلك النقصان زيادةً في النهار، وتنقص من النهار وتجعل ذلك النقصان زيادةً في الليل، (وتخرج الحيَّ من الميّت) أي: من النُطفة (وتخرج

(١) ينظر لسانيات النص (خطابي): ٢٥.

الميت) أي: النطفة (من الحي)، وقيل تخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن، (وترزق من تشاء بغير حساب) بغير تقدير[١].

وضّح الطبرسيّ عن طريق شرحه علاقات التضام بين الأفعال وهي (تؤتي الملك، تنزع الملك)، و(تعز، تذل) و(تولج اليل في النهار، وتولج النهار في اليل)، و(تخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي)، هذه الأفعال بنظامها يستدعي بعضها بعضا، فيؤتي يستدعي ينزع والفعل يُعز يستدعي يذل، والأفعال الأُخرى وهي تولج وتُخرج قد اكتسبت استدعاؤها (ضدها) من التركيب الذي وردتا فيه يولج اليل في النهار ويولج النهار في اليل، ويخرج الحي من الميت، هذا التضام يدعو إلى ربط أجزاء النص بعضها بعضًا.

٢. قال تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب/٧٣]، وضّح الطبرسيّ طرفي الآية ابتداءً من الفعل (يعذب) وختامًا بالفعل (يتوب)، فبدأ ببيان اللام في الفعل (ليعذب)، إذ قال: واللام في (ليعذب) لام التعليل على طريق المجاز، لأنّ التعذيب نتيجة حمل الأمانة التي ذُكرت في الآية قبلها من قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ١/٢٧٥.

[الأحزاب/٧٢]، فالتقدير: ليعذب حامل الأمانة، و(يتوب الله) على غيره ممَّن لم يحْمِلها؛ لأنّه إذا تيب على الوافي كان ذلك نوعًا من عذاب الغادر(١).

ورد تضام بين الفعلين يعذب ويتوب، فيعذب أصحاب الأمانة من المشركين والمنافقين، ويتوب على المؤمنين والمؤمنات الذين رعوا الأمانة، فذكر العذاب يستدعي ذكر التوبة.

٣. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [هود/٥]، ذكر الطبرسيّ في بيان هذه الآية أنّ المقصود من قوله (يثنون صدورهم) أي: يزورّون عن الحقّ وينحرفون عنه؛ لأنّ من أقبل على الشيء استقبله بصدره، ومن انحرف عنه ثنى عنه صدره، (ليستخفوا منه)، أي: يُريدون ليستخفوا من الله، فلا يُطْلعُ رسوله والمؤمنين على أوزارهم، (ألاحين يستغشون ثيابهم)، أي: يتغطَّون بثيابهم كراهيةً لا ستماع كلام الله، ثم قال: (يعلم ما يسرون وما يعلنون) يعني: أنّه لا تفارق في علمه بين إسرارهم وإعلانهم(٢).

بيّن تفسير النص وجود تضام بين الفعلين يسر والفعل يعلن، فذكر الأول يستدعي ذكر الثاني، فالفعل بعلم يشمل السر والعلن، فهي علاقة الكل بالجزء، هذا الأمر يدعو إلى التضام، ثم جعل العلم بالسر والعلن مقابلًا

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٣/٨٥.

(٢) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٢/١٥٥.

لقوله (يثنون صدورهم، ويستخفوا) فسبب ذلك ترابطًا لأجزاء النص بعضها مع بعض.

٤. قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ/١،٢]، بيّن الطبرسي ما في الآيتين بدءًا بقوله تعالى: (ما في السمواتِ وما في الأرض) بأنّه كله نعمة من الله سبحانه، فكأنّه سبحانه وصف نفسه بالإنعام بجميع النِّعم الدُنيوية، فمعناهُ: أنّه المحمود على نِعَم الدُنيا، (وله الحمد في الآخرة) إيذانٌ بأنّه المحمود على نعم الآخرة، وهي الثواب الدائم والنعيم المقيم، وهو حاكم لأمور الدارين الخبير بكل كائنٍ، وبكل ما سيكون، فهو يعلم ما يلج في الأرض من مطرٍ، أو كنزٍ، أو ميتٍ، ويعلم ما يخرج منها من نبات، أو جواهر، أو حيوانٍ، وما ينزل من السماء من ملك، أو مطرٍ، أو رزق، وما يعرج فيها أي: ما يصعد من الملائكة وأعمال العباد وهو مع كثرة نعمه وسُبوغ فضله رحيم غفور لعباده المقصرين في أداء الواجب من شكره[١].

عن طريق تفسيره اتضح أنّ النص تضمن تضامًا أدى هذا التضام إلى عملية ربط بين أجزاء النص، فبدأ بذكر الكل وهو الفعل ثم جزّأ هذا العالم بما على الأرض وبما في السماء، فعلى الأرض يعلم ما يلج، وما يخرج، وفي

(١) ينظر تفسير جوامع الجامع: ٨٨/٣.

السماء يعلم ما ينزل وما يعرج، فيلج ضدهُ يخرج، وينزل ضدهُ يعرج، والأرض مقابل السماء، فما ذكر مع الأرض استدعى أن يذكر مع السماء، ثم أُحكم ذلك بعلاقة الكل بالجزء.